نحري دون نحرك

الحمـد للـه رب العـالمين، والعاقبـة للمتقين، ولا عـدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعـوث رحمـة للعـالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فـإنَّ من المواقـف البطوليـة، والتضـحيات العظيمـة الـتي بـذلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل حمايته والـذود عنـه، ما سطره التاريخ وتناقلته الأجيال عبر العصـور عن أولئـك الصـحب الكرام الذين بذلوا من الأرواح والمهج ما لا يقـدر عليـه من بعـدهم إلا من وفقه الله. حتى أنّ الواحد منهم كان يجـود بنفسـه من أجـل حمايـة النـبي عليـه الصـلاة والسـلام، ومنهم من كـان يعـذب عـذاباً شديداً، وعنـدما يسـأله أحـد المشـركين -وهـو أبـو سـفيان قبـل أن يسلم-: "أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فأجابه قائلاً: واللـه مـا أحب أن محمـدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي". قال يقـول أبـو سـفيان: مـا رأيت من النـاس أحـداً يحب أحـداً كحب أصحاب محمد محمداً"[1] -صلى الله عليه وسلم-.

بـل إنهم كـانوا يفدونـه بآبـائهم وأعراضـهم، حـتى سـطر ذلـك شعراؤهم، فقال حسان وهو أشعر شعرائهم:

فإنّ أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم فداء[2]**

بل يفضلون أن تذهب نفوسهم رخيصة في سبيل الدفاع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا أقصى غاية الجود؛ كما قال الشاعر:

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها*والجود بالنفس أقصى غاية الجود[3].**

فمن ذلك ما فعله أبو طلحـة الأنصـاري -رضـي اللـه عنه- في غـزوة أحد، فقد كان يحمي رسول الله -صـلى اللـه عليـه وسـلم-، ويـرمي بين يديـه، وهـو يقـول: "بـأبي أنت وأمي يـا رسـول اللـه لا تشـرف يصيبك سهم من سـهام القـوم نحـري دون نحـرك"[4]. وعن قيس بن أبي حازم قال: "رأيت يد طلحـة شـلاء، وقى بهـا النـبي -صـلى اللـه عليه وسلم- يوم أحد"[5]. فهل بعد هذا الحب من حب؟ وهـل بعـد هـذا البـذل من بـذل؟ وهـل بعـد هـذه التضـحية من تضـحية؟ ألا خرصـت ألسنٌ تتكلم في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وشلت أيـدي تكتب في ذم أصحاب رسول الله- صلى الله عليـه وسـلم-، وأحـرقت قلوب تُضمر وتُكنّ البغض والعداء لأصحاب رسول اللـه –صـلى اللـه

عليه وسلم-؟ أو لم تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم؛ كما في المتفق على صحته عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه). ولكن قلوب القوم مليئة بالردة والنفاق، وبعيدة عن الإيمان والأخلاق، ظاهرها فيها الرحمة وباطنها فيها العذاب والسم الزعاف.. ألا فلعنة الله المتتالية على من سب أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقتل تقتيلاً.

وهذا الذي ذكرناه في عظيم حب أصحاب محمد للنبي–صلى الله عليه وسلم-، وبذلهم وتضحيتهم في سبيل الدفاع عنه –صلى الله عليه وسلم- ما هو إلا فيض من غيض فضائلهم، وقطرة من بحار مزاياهم.

ألا فلنقتدي -معشر المؤمنين- بالمؤمنين الأوائل، ولنقل كما قالوا: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} سورة الحشر(10). {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} سورة البقرة(201).

---

1 انظر: البداية والنهاية (4/65) لابن كثير. الناشر: مكتبة المعارف –بيروت.

2 المصدر السابق (4/311). لابن كثير. الناشر: مكتبة المعارف –بيروت.

3 راجع: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(2/293). الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت. الطبعة الثانية (1393هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي.

4 رواه البخاري.

5 رواه البخاري.